

(٣) النبوة

أن النبوة وظيفة إلهية وسفارة ربانية، يجعلها الله تعالى لمن ينتجبه ويختاره من عباده الصالحين وأوليائه الكاملين في إنسانيتهم، فيرسلهم إلى سائر الناس لغاية إرشادهم إلى ما فيه منافعهم ومصالحهم في الدنيا والآخرة، لغرض تنزيههم وتزكيتهم من درن مساوئ الأخلاق ومضاسد العادات، وتعليمهم الحكمة والمعرفة، وبيان طريق السعادة والخير، لتبلغ الانسانية كمالها اللائق بها، فترتفع إلى درجاتها الرفيعة في الدارين دار الدنيا ودار الآخرة

وأن قاعدة اللطف توجب أن يبعث الخالق - اللطيف بعباده - رسله لهداية البشر وأداء الرسالة الإصلاحية، وليكونوا سفراء الله وخلفاءه.

وأن الانسان لقصوره وعدم اطلاعه على جميع الحقائق وأسرار الاشياء المحيطة به والمنبثقة من نفسه، لا يستطيع أن يعرف بنفسه كل ما يضره وينفعه، ولا كل ما يسعده ويشقيه، لا فيما يتعلق بخاصة نفسه، ولا فيما يتعلق بالنوع الانساني ومجتمعها ومحيطه، بل لا يزال جاهلا بنفسه، ويزيد جهلا أو إدراكا لجهله بنفسه كلما تقدم العلم عنده بالاشياء الطبيعية والكائنات المادية.

وعلى هذا، فالانسان في أشد الحاجة ليلبغ درجات السعادة الى من ينصب له الطريق اللاحب، والنهج الواضح إلى الرشاد واتباع الهدى، لتقوى بذلك جنود العقل، حتى يتمكن من التغلب على خصمه اللدود اللجوج عندما يهيئ الانسان نفسه لدخول المعركة الفاصلة بين العقل والعاطفة.

وإنما كان اللطف من الله تعالى واجبا، فلأن اللطف بالعباد من كماله المطلق، وهو اللطيف بعباده الجواد الكريم، فإذا كان المحل قابلا ومستعدا لفيض الجود واللطف، فإنه تعالى لا بد أن يفيض لطفه، إذ لا بخل في ساحة رحمته، ولا نقص في جوده وكرمه.

وليس معنى الوجوب هنا أن أحدا يأمره بذلك فيجب عليه أن يطيع، تعالى عن ذلك، بل معنى الوجوب في ذلك هو كمعنى الوجوب في قولك: إنه واجب الوجود، أي: اللزوم واستحالة الانفكاك.

عصمة الانبياء

أن الانبياء معصومون قاطبة، وكذلك الائمة عليهم جميعا التحيات الزاكيات. وخالف في ذلك بعض المسلمين، فلم يوجبوا العصمة في الانبياء، فضلا عن الائمة.

والعصمة: هي التنزه عن الذنوب والمعاصي صغائرها وكبائرها، وعن الخطأ والنسيان، وان لم يمتنع عقلا على النبي أن يصدر منه ذلك، بل يجب أن يكون منزها حتى عما ينافي المروءة، كالتبذل بين الناس؛ من أكل في الطريق، أو ضحك عال، وكل عمل يستهجن فعله عند العرف العام.

الدليل على وجوب العصمة:

أنه لو جاز أن يفعل النبي المعصية، أو يخطأ وينسى، وصدر منه شيء من هذا القبيل، فإما أن يجب إتباعه في فعله الصادر منه عصيانا أو خطأ، أو لا يجب.

فان وجب اتباعه فقد جوزنا فعل المعاصي برخصة من الله تعالى، بل أوجبنا ذلك، وهذا باطل بضرورة الدين والعقل. وان لم يجب اتباعه فذلك ينافي النبوة التي لا بد أن تقترن بوجوب الطاعة أبدا.

على أن كل شيء يقع منه من فعل أو قول فنحن نحتمل فيه المعصية أو الخطأ، فلا يجب إتباعه في شيء من الاشياء، فتذهب فائدة البعثة، بل يصبح النبي كسائر الناس، ليس لكلامهم ولا لعمالهم تلك القيمة العالية التي يعتمد عليها دائما، كما لا تبقى طاعة حتمية لاوامره، ولا ثقة مطلقة بأقواله وأفعاله.

وهذا الدليل على العصمة يجري عينا في الامام، لان المفروض فيه أنه منصوب من الله تعالى لهداية البشر خليفة للنبي.

القرآن الكريم

أن القرآن هو الوحي الالهي المنزل من الله تعالى على لسان نبيه الاكرم فيه تبيان كل شيء، وهو معجزته الخالدة التي أعجزت البشر عن مجاراتها في البلاغة والفصاحة، وفيما احتوى من حقائق ومعارف عالية، لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف، وكلامه تعالى محدث لا قديم.

ومن دلائل إعجازه: أنه كلما تقدم الزمن وتقدمت العلوم والفنون، فهو باق على طراوته وحلاوته، وعلى سمو مقاصده وأفكاره، ولا يظهر فيه خطأ في نظرية علمية ثابتة، ولا يتحمل نقض حقيقة فلسفية يقينية، على العكس من كتب العلماء وأعظم الفلاسفة، مهما بلغوا في منزلتهم العلمية ومراتبهم الفكرية.

(٤) الامامة

يعتقد الامامية: أن الامامة أصل من أصول الدين، لا يتم الايمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الاباء والاهل والمربين مهما عظموا وكبروا، بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة.

وعلى الاقل أن الاعتقاد بفراغ ذمة المكلف من التكاليف الشرعية المفروضة عليه يتوقف على الاعتقاد بها ايجاباً أو سلباً، فاذا لم تكن أصلاً من الاصول لا يجوز فيها التقليد، لكونها أصلاً، فإنه يجب الاعتقاد بها من هذه الجهة، أي من جهة أن فراغ ذمة المكلف من التكاليف المفروضة عليه قطعاً من الله تعالى واجب عقلاً، وليست كلها معلومة من طريقة قطعية، فلا بد من الرجوع فيها إلى من نقطع بفراغ الذمة باتباعه، أما الامام على طريقة الامامية، أو غيره على طريقة غيرهم.

الامامة لطف

وأنها كالنبوة لطف من الله تعالى، فلا بد أن يكون في كل عصر إمام هاد يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر، وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في النشاطين، وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس، لتدبير شؤونهم ومصالحهم، وإقامة العدل بينهم، ورفع الظلم والعدوان من بينهم.

وعلى هذا، فالامامة استمرار للنبوة، والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الانبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الامام بعد الرسول.

فلذلك نقول: إن الامامة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي أو لسان الامام الذي قبله، وليست هي بالاختيار والانتخاب من الناس، فليس لهم إذا شاءوا أن ينصبوا أحداً نصبوه، وإذا شاءوا أن يعينوا إماماً لهم عينوه، ومتى شاءوا أن يتركوا تعيينه تركوه، ليصح لهم البقاء بلا إمام، بل «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»، على ما ثبت ذلك عن الرسول الاعظم بالحديث المستفيض.

وعليه لا يجوز أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى، سواء أبى البشر أم لم يأبوا، وسواء ناصروه أم لم يناصروه، أطاعوه أم لم يطيعوه، وسواء كان حاضرا أم غائبا عن أعين الناس.

عصمة الامام

الامام كالنبي يجب أن يكون معصوما من جميع الرذائل والفواحش، ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت، عمدا وسهوا.

كما يجب أن يكون معصوما من السهو والخطأ والنسيان، لأن الأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه، حالهم في ذلك حال النبي، والدليل الذي اقتضانا أن نعتقد بعصمة الانبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة بلا فرق.

الامامة بالنص

أن الامامة كالنبوة، لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان رسوله، أو لسان الامام المنصوب بالنص إذا أراد أن ينص على الامام من بعده.

وحكمها في ذلك حكم النبوة بلا فرق، فليس للناس أن يتحكموا فيمن يعينه الله هاديا ومرشدا لعامة البشر، كما ليس لهم حق تعيينه أو ترشيحه أو انتخابه، لأن الشخص الذي له من نفسه القدسية استعداد لتحمل أعباء الامامة العامة وهداية البشر قاطبة يجب ألا يعرف إلا بتعريف الله ولا يعين إلا بتعيينه.

(5) المعاد

يعتقد الامامية أن الله تعالى يبعث الناس بعد الموت في خلق جديد في اليوم الموعود به عبادته، فيثيب المطيعين، ويعذب العاصين.

وهذا أمر على جملة ما عليه من البساطة في العقيدة اتفقت عليه الشرائع السماوية والفلاسفة، ولا محيص للمسلم من الاعتراف به عقيدة قرآنية جاء بها نبينا الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم). فإن من يعتقد بالله اعتقادا قاطعا، ويعتقد كذلك بمحمد رسولا منه أرسله بالهدى ودين الحق، لا بد أن يؤمن بما أخبر به القرآن الكريم من البعث، والثواب والعقاب، والجنة والنعيم، والنار والجحيم، وقد صرح القرآن بذلك، ولمح إليه بما يقرب من ألف آية كريمة.

المعاد الجسماني

وبعد هذا، فالمعاد الجسماني - بالخصوص - ضرورة من ضروريات الدين الاسلامي، دل صريح القرآن الكريم عليها في آيات كثيرة. وما المعاد الجسماني - على إجماله - إلا إعادة الانسان في يوم البعث والنشور ببدنه بعد الخراب، وإرجاعه إلى هيئته الاولى بعد أن يصبح رميما. ولا يجب الاعتقاد في تفصيلات المعاد الجسماني أكثر من هذه العقيدة على بساطتها التي نادى بها القرآن، وأكثر مما يتبعها من الحساب والصراط، والميزان والجنة والنار، والثواب والعقاب، بمقدار ما جاءت به التفصيلات القرآنية.